المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد 12 شباط 2024
No.12 Feb 2024

الفتح الاسلامي والتبشير النصراني في الفكر الاستشراقي (دراسة مقارنة)

م. د. بيداء حيدر علي
الجامعة العراقية \ كلية الآداب
Dr.biadaahiader@gmail.com

الملخص

السلام في الاسلام هو القاعدة ، والحرب هي ضرورة تفرضها ظروف معينة لا بد منها لإكمال الدعوة الى الله الواحد الاحد ولحفظ كرامة الانسان وحريته ومما لا شك فيه ان الله سبحانه وتعالى عندما شرع الجهاد وجاء الاذن به فذلك لأسباب اصلها دفاعية فهي تدافع عن حقوق وغايات نبيلة والاسلام فاتح وعالمي بذاته لاتساقه مع الفطرة وبساطة تعاليمه وهذا ما يفسر سرعة انتشاره واعتناق الناس له حتى من النصارى رغم انها شرائع سماوية انتشرت بطرق مختلفة تحت مسمى التبشير وبما ان المستشرقين بحثوا في التاريخ الاسلامي لمقاصد واهداف مختلفة فقد اتهموا الفتح الاسلامي بأنه تم عن طريق القوة والاكراه وما هو الا حركة توسعية الهدف الاول منها المغانم وثروات الدول المجاورة للدولة الاسلامية متناسين طرق التبشير التي نالت ما نالت من المسيحيين انفسهم وبقية الشعوب التي تذرعوا بالتبشير فيها

الكلمات المفتاحية : الفتح الاسلامي ،المستشرقون ، التبشير ، المسيحية ، النصارى

Islamic conquest and Christian evangelism in Orientalist thought (a comparative study)

Instr.Dr.Biadaa Hiader Ali
Al-Iraqia Universtiy-College of Arts

Summary

Peace in Islam is the rule, and war is a necessity imposed by certain circumstances that are necessary to complete the call to God, the One and Only, and to preserve human dignity and freedom. There is no doubt that when God Almighty initiated jihad and gave permission for it, it was for reasons that were originally defensive, as it defends noble rights and goals and Islam. A conqueror and universal in himself due to his consistency with nature and the simplicity of his teachings. This explains the speed of his spread and people's embrace of him, even Christians, despite the fact that they were divine laws that were spread in various ways under the name of proselytization. Since the Orientalists searched in Islamic history for different purposes and goals, they accused the Islamic conquest of having been achieved through force, coercion, etc. It is nothing but an expansionist movement, the primary goal of which is the spoils and wealth of the countries neighboring the Islamic State, forgetting the methods of evangelism that have affected the Christians themselves and the rest of the peoples whom they used as an excuse to proselytize.

Keywords: Islamic conquest ,Orientalists .Evangelism ,Christianity ,Christians

الفتوحات الاسلامية

شكلت قداسة الفتوحات الاسلامية والتبرير لها اهمية كبيرة في المفهوم الانساني بصورة عامة واختلف الباحثون في تقدير مسألة الفتوحات الاسلامية فمنهم من عدها واجب عقائدي وديني بحكم ارتباطه بالجهاد الذي اقره الدين الاسلامي ومنهم من عدها وقائع تاريخية حفل بها التاريخ الاسلامي كبقية الحوادث

الاخرى مثل الخلافة والامارة وغيرها لذلك اصبحت هذه الفتوحات مادة دسمة للنيل من الاسلام في جانب معين من جوانبه وقبل الولوج في هذا الامر لابد من التعرف على مفهوم الفتح الاسلامي ومشروعيته

مفهوم الفتوحات الاسلامية

الفتح في اللغة هو نقيض الانغلاق ويقصد به دخول الاسلام الى البلدان التي انتشر فيها بعد حروب ومعارك وياتي بمعنى الغلبة والنصر [1]

اما في الاصطلاح فالفتح الاسلامي هو خروج المسلمين للدعوة الى دين الاسلام في البلدان المختلفة والاقطار النائية فأن دخل اهل تلك البلاد في الاسلام فقد تحقق الامل المنشود وأن ابوا الدخول فتعرض عليهم الجزية فان ابوا فالقتال حتى يدخلوا الاسلام [2] وبذلك تكون الفتوحات الاسلامية هي حركة نشر الاسلام عن طريق الدعوة او القتال[3] وترسيخ مبادئه بتحقيق السلام والحرية للشعوب المغلوبة على امرها [4]

والادلة على وجوب الفتح والجهاد في القران الكريم كثيرة وعلى سبيل المثال لا الحصر..قال عز من قائل (يا ايها الرسول بلغ ما انزل من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين)[5]

(كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز)[6]

مشروعية السيف والقوة

(وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)[7]

ان اهم ما يميز الاسلام هو عالميته ..حيث حمل المسلمون المؤمنون منهم على اكتافهم ابلاغ رسالته وفق اساليب سلمية وبمنتهى الانسانية وكان ايصال هذه الرسالة يتم عن طريق خطوات مدروسة تبتدأ بأرسال الرسائل او المشافهة المباشرة كما فعل رسول الله ص لما ارسل الى كسرى وقيصر والمقوقس وغيرهم [8].. ثم قام عليه الصلاة والسلام بأرسال الدعاة والخطوة الاخيرة كانت هي ارسال الجيوش الفاتحة وحتى بعد ارسال الجيوش فقد أمرهم بأنها تقف على الحدود ولا تدخل البلدان فجأة ولا خلسة ولا غدر بل تراسل الحكام وتطلب منها الدخول في الاسلام عن اختيار وطواعية فأن اسلموا فلهم كل ما للمسلمين وعليهم كل ما عليهم بدون عنصرية ولا طبقية ولا تعصب[9] فأن رفضوا فهناك خيار سلمي اخر وهو دفع الجزية للمسلمين وهي ضريبة رمزية لتبعية معطي الجزية للدولة الاسلامية وليس ذلك ببدع عليهم فالجزية موجودة في الكتاب المقدس لدى اهل الكتاب ولا زالت موجودة في شرائع العهد القديم والجديد [10] ..

فقد سأل اليهود المسيح عليه السلام(حسب العهد الجديد)عن رأيه في اداء الجزية وقد أقر بحق القياصرة في اخذها[11] فقال (اعطوا لقيصر ما لقيصر وما لله لله)[12]

فأن ابت الحكومات ذينيك الخيارين تكون الدولة الاسلامية قد اضطرت الى السيف لأقامة دين الله في ارضه ومع ذلك فقد قيدت القوة بشروط وضوابط صارمة حفاظا لكرامة الانسان من الانتهاك فيمنع الجيش المسلم من الظلم والنهب واهلاك الحرث والنسل [13] وقد ورد عن الرسول الاعظم (ص) في بعض وصاياه (لا تخربوا عمرانا ، ولا تقطعوا شجرة الا لنفع ، ولا تعقرن بهيمة الا لنفع ، ولا تحرقن نخلا ولا تغرقنه ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تجبنن ولا تغللن ولينصرن الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز)[14]

وألتزم الخلفاء والقادة بوصايا الرسول ص واعتمدوها في جميع فتوحاتهم فقد كانت وصية الخليفة ابو بكر الصديق لقائد جيشه (لا تخونوا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا تقطعوا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة .....) [15]وقول الخليفة عمر بن الخطاب عندما ضرب ابن الوالي عمرو بن العاص غلاما قبطيا في مصر (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرار)[16]

ومثلما امر الله سبحانه وتعالى بنشر الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة فقد امر باستخدام السيف والقوة والقتال لأسباب مشروعة فقد (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير)[17]

ومن تلك الاسباب :

1- الظلم الذي طال المسلمين الاوائل من قبل كفار قريش فقال سبحانه وتعالى (بأنهم ظلموا)
2- ترسيخ المباديء الانسانية مثل نبذ الخيانة فشرع الله سبحانه القتال ضد يهود المدينة عندما اخذ منهم المواثيق بعدم التعرض للمسلمين لكنهم تحالفوا مع المشركين ضد المسلمين عندها اذن الله عز وجل لرسوله والمسلمين بقتالهم [18] (وأما تخافن من قوم خيانة فأنبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين)[19]
3- منع الجبروت والتسلط في الارض كما حدث في معركة مؤتة مع الروم [20]

ويتضح مما سبق ان الاسلام يسعى الى تحقيق السلام للجنس البشري اينما كان وهذا ما تميز به كونه دين الله الاول والاخير في الوقت الذي فرضت اليهودية على اتباعها محاربة الاخرين حفاظا على وجودهم وللتمكن من بسط نفوذهم [21] .. ونرى المسيحية متمثلة بالكنيسة قد فرضت الحرب ضد الاخرين وخير مثال على ذلك الحروب الصليبية [22] وفسرت تلك الحروب على انها جهاد بمعنى التضحية من اجل العقيدة كما هو في النص المنسوب الى السيد المسيح سلام الله على نبينا وعليه انه قال (من اراد ان يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبي ويتبعني فأن من اراد ان يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من اجلي ومن اجل الانجيل فهو يخلصها)[23] وقد يتبادر الى الذهن _ وان كان خارج موضوع الدراسة _ هل ان السيد المسيح صرح بحمل الصليب قبل صلبه ؟ الجواب نعم كون عقوبة الصلب كانت معروفة ومتبعة في الحضارات القديمة الرومانية والفارسية وحتى قبلها وهي عقوبة تنزل بحق غير الرومان ويتحتم على من نزلت به العقوبة ان يحمل صليبه الى مكان صلبه [24]

التبشير في المسيحية

التبشير في اللغة العربية هي المصدر للفعل بشر – يبشر وأسم المصدر منه بشارة او البشرى وتعني ايصال رسالة او خبر يؤثر في بشرة الوجه تعبيرا ملحوظا سواء فرح او حزن [25]

اما في الاصطلاح فقد جعل البشارة والبشرى مختصين بالخير كقوله تعالى (والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد)[26] وقوله جل شأنه (فلما جاء ان البشير القاه على وجهه فأرتد بصيرا)[27]

وعرف التبشير اصطلاحيا باختلاف العصور واختلاف ما ترمي اليه مخططات الكنيسة ففي اطاره التقليدي القديم عرف بأنه ارسال المبعوثين ليبلغوا رسالة الانجيل لغير المؤمنين بها عن طريق الوعظ والتكريز [28]

ويعود اصل مفهوم التبشير الى دعوة يحيى عليه السلام وبشارته بأقتراب ملكوت الله الذي يأتي بعده بقوله(توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماء)[29] ومن ثم اصبحت بشارة عيسى عليه السلام [30] (وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب)[31]

فكانت رسالة يحيى عليه السلام دعوة الى الاستقامة ثم التبشير بملكوت السموات

المقترب [32] وتذكر الاناجيل اهتمام المسيح بالتبشير واعتباره العمل الرئيسي الذي جاء من اجله فقال (.... ينبغي لي ان ابشر .... بملكوت الله لأني لهذا قد ارسلت)[33] وكان عليه السلام قد اوصى تلاميذه بالتبشير فلقد (عين سبعين اخرين وارسلهم اثنين اثنين امام وجهه الى كل مدينة وموضع)[34] ويعتقد النصارى ان برنابا هو اهم تلاميذ السيد المسيح ومحل ثقة ومن ضمن السبعين الذين ارسلهم النبي عيسى عليه السلام للتبشير بالمسيحية [35]

اما في العصور الوسطى وبداية العصر الحديث فقد قيل في التبشير بأنه محاولة ايصال تعاليم العهد الجديد لغير المؤمنين بها بمختلف الوسائل ليتخذوا النصرانية دينا لهم وارجاع المرتدين الى الايمان بما تقرره الكنيسة الكاثوليكية التي تدعي انها الام لكل الكنائس والتي مارست في سبيل ارجاع من زعمت انهم مرتدين واسمتهم مهرطقين وسائل عديدة كان بعضها قاسيا كمحاكم التفتيش المعروفة بفظاعة ما ارتكبته في حق ضحاياها ، كذلك الحملات الفظيعة ضد الخارجين عليها من طائفة البروتستانت الذين يمارسون ايضا التبشير لأقناع الكاثوليك والارثوذوكس بوجهة نظرهم [36]

ويعود السبب في تسلط الكنيسة في العصور الوسطى روحيا وسياسيا الى ضعف الملوك والاباطرة فسيطرت على التعليم في المدارس واحتكرت لنفسها تأويل الكتاب المقدس وأدانت كل من جاهر بحقيقة لم تقرها الكنيسة من قبل وسلم بسياستها في اضطهاد مخالفيها ومن لم يذعن لها فتحيق به اللعنة وكانت الهرطقة اعظم خطيئة عقابها نار جهنم الى جانب ما تنزله به السلطات الدينية من عذاب .. وتمكن نظام الاضطهاد منذ اوائل القرن الخامس على يد القديس اوغسطين وهو اوسع اباء الكنيسة نفوذا (ت430م) من الناس فمضت الكنيسة تعمل جاهدة لقمع كل من يخالفها متهمة اياهم بالهرطقة [37]

اما في الاسلام فأن رجال الدين ولا سيما الاوائل منهم فقد جردوا من كل سلطة دنيوية متخذين قول الله سبحانه وتعالى (فذكر انما انت مذكر ليس عليهم بمسيطر)[38] دستورا لوجودهم [39]

الفتح والتبشير في الفكر الأستشراقي

اهتم المستشرقون بأمر الفتوحات الاسلامية ما بين مادح وقادح وناقشوها واثاروا حولها الافتراضات والشبهات وحاول بعضهم ان يشوهوا الهدف الاساسي من تلك الفتوحات.. رغم علمهم ان الغاية الاساسية للفتوحات هي نشر الاسلام وان القتال ليس غاية في حد ذاته وانما هي وسيلة لأزالة العقبات عن طريق الدعوة لكنهم عن قصد او سوء فهم لتلك الفتوحات اثاروا شبهة ان الاسلام انتشر بالقوة وبالسيف

المستشرقون المغرضون

اجتهد المستشرقون المغرضون في البحث بين ثنايا التاريخ الاسلامي عن امور ممكن ان تأول بغير معناها الحقيقي او مناسبة حدوثها لاثبات فكرة معينة تجول في خاطرهم متبعين منهج الاسقاط في تفسير كل ما من شأنه التقليل من قيمة الدين الاسلامي بكل تفاصيله فهذا المستشرق الانكليزي آرنولد توماس يعزو عملية الفتوحات الاسلامية الى اسباب مادية بحثا عن الغنائم والمكاسب ودليله في ذلك ان الخليفة ابو بكر الصديق عندما فرغ من حروب الردة امر بتوجيه الجيوش الى الشام لمواصلة الفتوحات لذلك كتب الى اهل مكة والطائف واليمن وجميع العرب في نجد يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم فسارع الناس اليه بين محتسب وطامع وأتوا المدينة من كل باب[40] فتذرع بهذا القول مدعيا ان الدافع الاساسي هو ماديا اقتصاديا (ان امل المسلمين الوطيد في الحصول على غنائم كثيرة في جهادهم في سبيل الدين الجديد ثم املهم في ان يستبدلوا بصحاريهم الصخرية الجرداء التي لم تنتج لهم الا حياة تقوم على البؤس بتلك الاقطار ذات الترف والنعيم) ويثير شبهة اخرى وهي ان الهدف الاساسي من تلك الفتوحات هو سيطرة الاسلام واستبدال المسيحية بالدين الجديد[41]

ويتفق المستشرق الايطالي ليون كايتاني مع المستشرق آرنولد في انهم عدوا الفتوحات الاسلامية في الصدر الاول من الدعوة[42] (توسع للجنس العربي وذلك عن طريق هجرة جماعات قوية البأس دفعها الجوع والحرمان الى ان تهجر صحاريها الى بلاد كانت اكثر خصبا تابعة لجيران اسعد منهم حظا)[43]

ويصف المستشرق الانكليزي جب الفتوحات الاسلامية بأنها (حروب عدوانية توسعية)[44]

ان اسلمنا جدلا انه كان هناك دافع اقتصادي من ضمن دوافع الفتوحات .. هل هذا يعني العرب قبل الاسلام كانوا يعيشون في فقر مدقع لدرجة انهم وجدوا في الفتوحات الاسلامية ولا سيما في الصدر الاول للإسلام مخرجا الى حياة الرفاهية ؟ نعم كان هناك فقر لكنهم كانوا متأقلمين مع واقعهم ولم يخطر ببالهم

ان يستولوا على ثراء ومغانم الفرس والروم فقد كان العرب تجارا يسعون صيفا وشتاء بين ارجاء الجزيرة وحتى بعد مجيء الاسلام اصبح الوضع الاقتصادي للعرب اكثر استقرارا بسبب ازدهار النشاط الاقتصادي بعد ان نظم الاسلام الحياة الاجتماعية بين المسلمين وحقق سبل التكافل الاجتماعي مكونا بذلك مجتمعا مستقرا اقتصاديا

ورغم بذخ دولتي الفرس والروم ومظاهر الترف لديهم الا ان ذلك رافقه استبداد وخلافات دينية وصراعات حول الملك في الوقت الذي الف الاسلام بين قلوب مسلميه وتزامن لديهم مظاهر الزهد والتقشف مع الايمان والحرص على الاستشهاد في سبيل الله مما حقق لهم اعظم النتائج في الفتوحات التي قاموا بها[45]

وكعادة المستشرقون المتعصبون في اتباعهم لمنهج التحوير في الحقائق بتجني وقصور في الفهم فقد حاول المستشرق الفرنسي ماوريس جودفروا ديموبين تحويل مفهوم الفتح والجهاد الى وسيلة للقتل والاسترقاق وهو يتحدث عن سرية عبد الله بن جحش على انها غارة حدثت في الاشهر الحرم فيقول(يقود الخليفة الجهاد الى الحرب المقدسة ضد الكفار لحملهم على اعتناق الدين الاسلامي او استرقاقهم او قتلهم او اجبارهم اخر الامر على دفع الجزية ومع ان العلماء المسلمين يعتبرون الجهاد فرضا واجبا على جميع المسلمين الا انهم غير متفقين على قيمته الدينية ..... فقد كان الرسول في بداية دعوته في مكة ضعيفا ولم يزوده القران بسلاح سوى الصبر والثقة بالله ولكن بعد الهجرة هبط الوحي يحث المسلمين على ان يقاوموا بقوة وبمناسبة غارة قام بها المسلمون بخرق الهدنة الجاهلية في الاشهر الحرم امرهم القران ان يقاتلوا)[46]

وحقيقة الامر ان الرسول ص بعث عبد الله بن جحش ومعه ثمانية من المهاجرين في رجب للاستطلاع فكتب كتابا (اذا نظرت في كتابي هذا فأمض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا من اخبارهم)[47] فهي سرية استطلاع للحصول على المعلومات وهذا امرا طبيعيا بين جبهتين بينهم قتال مرتقب والدليل على انها سرية استطلاع وليس قتال في اشهر حرم كما ادعى المستشرق بدليل قول الرسول الكريم ص لهم عند عودتهم (ما امرتكم بقتال في الشهر الحرام)[48] وبقي الامر معلقا الى ان انزل الله سبحانه وتعالى على رسوله ص (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله)[49]

والامر الاخر الذي غفل عنه المستشرق ان السرية كانت تتألف من ثمانية اشخاص فكيف بهذا الرهط ان يخوض حربا ويقتل ويسترق الناس ويفرض الجزية ؟

وبذلك يكون المستشرق قد انتقى ما يروق له وحذا حذو اعداء الاسلام حينذاك عندما الت قريش (قد استحل محمد واصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وغنموا واسروا الرجال)[50]

ويتهم المستشرق الفرنسي هنري ماسيه - في كتابه الاسلام- الفاتحين المسلمين بالنهب بقوله(..... بعد افتتاح الموصل حتى عاصمة ارمينيا التي اعملوا فيها النهب الخ)[51]

ويفسر الآية الكريمة التي اذن الله جل وعلا فيها للمسلمين بالقتال (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)[52] تفسيرا اقتصاديا فيقول انها(اية قرآنية تظهر الصفة الاقتصادية اكثر مما تظهر الصفة الدينية)[53] مهمشا البنود الاساسية للآية الكريمة من قتال الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الاخر وعدم اجتناب ما حرمه الله ومركزا على موضوع الجزية وحتى موضوع الجزية فيه قصور بالفهم

ومن تفسيراته المادية في هذا الكتاب ما تناوله في احدى موضوعاته فيما يخص انتقال الخلافة من الامام الحسن عليه السلام الى معاوية بن ابي سفيان الذي قال فيه (ولم يكن يفكر –الامام الحسن –الا بأن يحمل معاوية على ان يدفع له الكثير من المال)[54] وأن كان الشاهد الاخير بعيدا عن محتوى الدراسة الا انه لا يبتعد عن افكارهم التي تتحين الفرص للنيل من التاريخ الاسلامي ورموزه

ويعلل ماسيه اسباب التوسع الاسلامي حسب قوله الى وجود قادة يحملون افكارا ذات مصالح شخصية وأنهم متبوعين بجنود جهلة اسماهم العصابات العربية وأنهم يستغلون الشقاق والضعف الذي يدب في الدول المجاورة لدار الاسلام ومتهما الخلفاء والصحابة بان لهم مصلحة في قذف رعاياهم في الغزوات للتخلص منهم ويربطوهم بالاسلام تحت مسمى الفتوحات الاسلامية [55]

وفي السياق نفسه فقد عد ماسيه السلاح من ضمن شروط الفتح والتوسع الاسلامي ويرى ان النبي ص لم يتصفح بشكل واضح نتائج الحرب المقدسة كما يسميها واستنتج ذلك حسب فهمه المحدود جدا للقران فيقول (والقران مثلا يأمر لهداية الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادلهم بالتي هي احسن ولكننا من ناحية اخرى نجد فيه الامر بقتل الكافرين) [56]فهو يرى من وجهة نظره ان هناك تناقض في النص القراني واعزى ذلك الى ان النبي ص لم يدرس ويتصفح نتائج الفتوحات والجهاد ثم يجزم بأن الامر بعد وفاة الرسول ص تقرر ان يكون (قتال دائم ضد غير المسلمين الى ان يخضعوا للاسلام)[57]

ومن الشبهات التي تداولها المستشرقون حول الفتوحات الاسلامية ان الخلفاء والقادة كانوا يزجون بالمسلمين في تلك الحروب حتى لا يثيروا الفتن ويطرحون ادلة فسروها حسب نتائج وضعت مسبقا مثل فتح عمرو بن العاص لمصر ومسير خالد بن الوليد بدون علم الخليفة بعد حروب الردة والتي كانت بحد ذاتها كانت دوافعها اقتصادية [58]

وهذا الامر غير صحيح تاريخيا فقد ذكر الذهبي انه بعد الفراغ من قتال اهل الردة ارسل الخليفة ابو بكر الصديق خالد بن الوليد الى البصرة فأفتتحها وأفتتح مدائن كسرى في العراق[59]

ونحى هذا المنحى عدد من المستشرقين امثال المستشرق الهولندي فان فلوتن والمستشرق النمساوي فون كريمر معتمدين على فكرة ان الاسلام ذاته دين القتل والقوة وسبب انتشاره هو السيف الذي لم ينج منه حتى المسلمين فالخلفاء والصحابة والقادة بالنسبة اليهم هم اشخاص متعصبون يسفكون الدماء ولا يأبهون في ادخال جنودهم الى محرقة دموية تطالهم مع شعوب البلدان المفتوحة [60]

ويصف فولتن الفتوحات بانها(احتلالا مسلحا ما لبث ان تبلور في سلوك الخليفة الثاني عمر وتصعيده لحركة الفتوح)[61] مفسرا تلك الفتوحات بانها خطأ وقع به الخلفاء قبل الرعية فيقول(ان خطا الفاتحين العرب وفي طليعتهم الخلفاء انهم تجاهلوا – عدم قبول الشعوب في البلدان المغلوبة – للفاتحين واعطوا الاولوية لمصالحهم الشخصية)[62]

ويفتتح المستشرق فان فولتن كتابه السيطرة العربية بمقارنة بين التبشير المسيحي والفتح الاسلامي واصفا انتشار المسيحية بالعالمية المتطورة المتسللة بهدوء الى الحضارات المتقدمة وينعت الفتح الاسلامي بانه عملية انذار بالسيف والقوة قائلا (في شبه الجزيرة العربية لم يكن اعتقاد الناس بهذا الدين وخضوعهم له نابعا من موادعة ومسالمة وانما كان للنبي من قوة وتاثير دفع القبائل البدوية الى مبايعته والاعتراف به .... لان ما اخذته من الاسلام لم يكن عن اقتناع ولكن بقوة سيفه)[63] ويناقض نفسه ومعترفا بأن سرعة انتشار الاسلام كانت اكبر من انتشار المسيحية ولكنه يعزو ذلك الى بداوة العرب وطمعهم حسب قوله بالغنائم من خلال الفتوحات الاسلامية واصفا اياهم بأنهم (جنس غير مثقف وبعيد عن التحضر) وبقوة السلاح قائلا (استطاع الاسلام الانتشار بقوة السلاح والنفاذ الى المقاطعات المسيحية والاقامة بين مناصري زرادشت)[64]

ولا يخفى على كل من بحث في التاريخ الاسلامي ان سرعة انتشار الدين الاسلامي يعود بالمرتبة الاولى الى ارادة الباري علا شأنه كونه الدين الخاتم والى حنكة وسياسة الرسول الاعظم ص والخلفاء من بعده كذلك وصفه للعرب بأنهم جنس غير مثقف وهم يعلمون جيدا الحضارة الاسلامية ومداها وكيف كانت منارا في العصور الوسطى لمختلف العلوم من طب وفلك وجغرافية وفلسفة وغيرها من العلوم .

واعتقد ان قوله بالاقامة بين مناصري الزرادشتية ماهو الا شبهة اخرى جالوا بها وتناقلوها ليردوا الدين الاسلامي الى ما قبله من شرائع وضعية

ويستطرد فلوتن قائلا (ان الاحتلال العربي يقدم لنا صورة لشعب يعيش عبثا او عالة على شعب اخر) مستشهدا بقول المستشرق كريمر (ان الشعوب المغلوبة تبذر وتحرث والمسلمون يحصدون ويشغلون انفسهم بمهنة الحرب)[65]

الوجه الاخر للتبشير

ظهرت بوادر التعصب الديني منذ تسلم الامبراطور قسطنطين الاول زمام الامور بعد ان اعتنق المسيحية وجعلها الدين الرسمي للدولة ولبسط سيطرته قام بقطع اذان اليهود وأمر بأجلاءهم الى اقاليم مختلفة . وقبل ان ينتهي من بناء مدينته الجديدة القسطنطينية دعى الى عقد المجمع المسكوني في قرية تدعى نيقية ليفرض سيطرته على المسيحيين وفي نهاية القرن الرابع الميلادي وضع الامبراطور تيودسيوس ستا وثلاثين مادة لمقاومة اليهودية والهرطقة وحظر عبادات الوثنيين وامر بتحطيم صورهم ومعابدهم، وفي عام 379م امر الامبراطور فالنتيان الثاني بتنصير كل رعايا الدولة الرومانية وقتل كل من لم يتنصر [66] ثم تلا ذلك فترة محاكم التفتيش والحروب الصليبية وظهور حركات الاصلاح الديني وكل تلك الحوادث كانت انطلاقاتها من الكنيسة وتوج كل ذلك بمؤسسة الاستشراق الرسمي فخرجت طلائع المستشرقين من النصارى من الكنائس والاديرة بمناصب دينية [67]وبذلك يكون رواد تلك الحركة اغلبهم رهبانا وقساوسة ولم تكن اعمالهم العلمية بمعزل عن دورهم الكنسي . كما قام البابوات ورجال الدين النصارى بمساعدة المستشرقين فعملوا على انشاء مطابع عربية ودراسة الكتب الاسلامية المتنوعة[68]

ورغم ما اسس له الاستشراق المغرض فقد ظهر مستشرقون ادانوا بعض طرق واساليب التبشير ووصفوا الكنيسة ووسائلها بمختلف الاوصاف واولها التعصب فيقول المستشرق الفرنسي شارل جينيز (كانت الصليبية دين يبغي العالمية ويتخذ الحرب وسيلة لها ، دينا متعصبا شديد التعصب لا يقبل بالنسبة للعالم الخارجي انصاف الحلول)[69] ويرى المستشرق الالماني هربرت فيشر ان هناك الكثير ممن اعتنقوا المسيحية خوفا لا قناعة فيقول(مما لا شك فيه ان تحول الجموع الكبيرة من الاوربيين الى النصرانية قد تم تحت رعب السيف وطلبا للمكاسب المادية ولا علاقة لها بمملكة السماء وعطاياها الاخروية ويكفي التذكرة بما فعله شارلمان حين قتل في يوم واحد 4500 انسان رفضوا التنصر ، لقد كان السيف الوسيلة الوحيدة لتعامل الصليبية مع نفسها والوسيلة الاولى في التعامل مع الشعوب الاسلامية)[70]ويذكر صاحب كتاب المسيحية والسيف عن ابادة هنود القارة الامريكية على يد الاسبان (ان الذين ذهبوا الى هناك من ادعياء المسيحية ابادوا الشعوب الهندية ومحو ذكراها من وجه الارض)[71] ويستطرد وهو شاهد عيان قائلا (قتل المسيحيون وفتكوا كل ذلك الفتك باسم الدين ليحصلوا على الذهب ويكتنزون الثروات)[72]ويتهمون الفتوحات الاسلامية بان الهدف منها الغنائم والاموال !! ساء مايحكمون

ويذكر بروتولومي ان المسيحيين سبوا النساء والاطفال وكانوا يخطفون اسياد القرى وأتبعوا شتى انواع القتل والاغتصاب بحق تلك الشعوب وعندما كان الهنود الحمر يقاومون المسيحين باسلحتهم البسيطة يعاقبوهم المسيحيين بمذابح لم تعرف بتاريخ الشعوب مثلها ويعذبون الاسرى بطرق بشعة منها انهم يقطعوا ايديهم قطعا ناقصا لتبدوا كانها معلقة بأجسادهم ثم يقولون لهم (هيا احملوا الرسائل) اي اذيعوا الخبر بين اولئك الذين هربوا [73] بينما الاسلام حرم ونهى عن المثلى ولو بالكلب العقور بحديث رسول اله (ص)(اياكم والمثلى ولو بالكلب العقور)[74] فاين من يقول (من ضربك على خدك الايمن فأدر له الايسر)[75]ولا نراه الا تسامحا خيالي لا وجود له على ارض الواقع والمتمعن في تاريخ النصرانية يدرك ان التبشير الذي يقولون به لم يتم الا بالسيف الذي سلط على الشعوب المغلوبة على امرها ،وان كان لا يجوز الجزم بأن كل الحركات التبشيرية كانت بهذا التعصب والتسلط الا اننا نجزم بأن اغلبها كان كذلك

المستشرقون المنصفون

ولعله هناك عدة مسارات لاراء المستشرقين حول الفتح الاسلامي ففي الوقت الذي وجد فيه المستشرقون المغرضون مادة دسمة للنيل من مفصل مهم من مفاصل التاريخ الاسلامي كان هناك انصاف ولو بسيط من بعضهم فيقول المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون (اكرهت مصر على انتحال النصرانية ولكنها هبطت الى حضيض الانحطاط الذي لم ينتشلها منه سوى الفتح العربي)[76]

ولما تعددت الفرق النصرانية حل النزاع بينها واستخدموا اشد انواع العذاب فيما بينهم ولا سيما تعذيب اقباط مصر عندما رفضوا قرار مجمع خليقدونية واستمرت معاناتهم سنين طويلة فقد قتل جستنيان الاول من القبط في الاسكندرية وحدها مائتي الف قبطي ، واحرق اخ الاسقف الاكبر بنيامين حيا ثم رموه في البحر بينما بقي الاسقف متواريا لمدة سبع سنين ولم يظهر الا بعد استيلاء المسلمون على مصر ورحيل الرومان عنها [77] وهناك من المستشرقين من ولوجوا في الدين الاسلامي حتى انتهى بهم الامر الى اعتناقه والدفاع عنه وعن مفاصله بالحجة الدامغة مثل المستشرق الفرنسي ايتين دينيه فيقول عن المستشرقين (اننا نلمس من خلال كتاباتهم ان محمد ص يتحدث الالمانية اذا كان الكاتب الماني ويتحدث الايطالية اذا كان الكاتب ايطالي وهكذا تتغير صورة النبي ص بتغير جنسية الكاتب)[78]

الخاتمة

توصلت الدراسة الى نتائج اهمها ما يلي:

1- ان الدين الاسلامي بعث الى الانسانية جمعاء بعيدا عن العرق والجنس واللون وأن من اهم مبادئه هو احترام الاخر والحفاظ على كرامته وحريته

2-ان غاية الاسلام من حرب اعدائه هو دفع شرهم ووقاية المسلمين من الخطر الذي يتهددهم من جهة عدوهم

3-ان الفتوحات الاسلامية ماهي الا وسيلة لنشر الدين الاسلامي ورفع الظلم عن الانسان اينما وجد

4-ادعاءات المشككون والمستشرقون بأن الاسلام انتشر بحد السيف ماهي الا شبهة ارادوا من خلالها النيل من عالمية وصدق الدين الاسلامي

5-غض النظر عن الانتهاكات المسيحية التي طالت الناس بأسم التبشير النصراني

6-ادعاء المستشرقون ان الاسلام قد اجبر الناس على الايمان به بحد السيف فرية باطلة وذلك لانه قد بين احكام الجهاد وفصلها تفصيلا دقيقا

7-ان المتمعن في سرعة الفتح الاسلامي للبلاد الواسعة يرى اقبال شعوب البلدان المفتوحة على اعتناق الاسلام بصورة كبيرة واعداد هائلة

8-لم يقم الجيش الاسلامي باستعباد الناس في البلدان المفتوحة وسرقة خيراتها كما فعل النصارى الاسبان في القارة الهندية

واخيرا فأن الاسلام لم يجبر احدا على الدخول فيه ولم يستخدم السيف اداة للاضطهاد والعنف كما فعلت الكنيسة في العصور الوسطى ، ولم يجبر الناس على الايمان به بل ان السيف كان اداة لازالة الحواجز المادية لتمكين الناس من التعرف على الاسلام ومعاينته فأن اقتنعوا به امنوا والا بقوا على دينهم دون خوف او ظلم

الهوامش

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، ج 2 ، ص5404
[2] علي ، الفتوحات الاسلامية بين الآل والاصحاب حقائق وشبهات ، ص27
[3] عبد العزيز العمري ، الفتوح الاسلامية عبر العصور ، ص15
[4] وجدي ، الاسلام وحركة التاريخ ، ص59
[5] سورة المائدة \ الآية 67
[6] سورة المجادلة \ الآية 21
[7] سورة الانبياء \ الآية 107
[8] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ج 2 ، ص644-657
[9] الغزالي ، فقه السيرة ،ص 356
[10] يشوع \6\10
[11] كرد علي ، خطط الشام ، ج 5 ، ص47
[12] متى \16 \ 21-22
[13] الواقدي ، المغازي ، ج 2 ، ص758
[14] المتقي الهندي ، كنز العمال ج 4 ، ص474
[15] الدميجي ، هل انتشر الاسلام بالسيف ، ص 37
[16] ابن عبد الحكم ، فتوح مصر واخبارها ، ص 290
[17] الحج \39
[18] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج1 ، ص 545
[19] سورة الانفال \الآية 58
[20] ينظر ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد ج2 ، ص155؛ ابن حجر ، فتح الباري و ج 7 ، ص 511
[21] الشامي ، الشخصية اليهودية والروح العدوانية ، ص 152
[22] ينظر ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج 8، ص195؛ حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام السياسي ، ج 1 و 180- 185
[23] مرقس 8، 34-35 ؛ متي ، 10 ، 16 24 ، لوقا ، 9 ، 23
[24] ينظر السرياني ، الدر الفريد في تفسير العهد الجديد ، ج 1 ، ص263
[25] الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، مادة بشر ص447
[26] سورة الزمر \ الآية 17
[27] سورة يوسف \ الآية 96
[28] التكريز : بمعنى التبليغ بالأسلوب الوعظي المجرد واصل الفعل اكرز موجود في السريانية ينظر عكاشة و ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ، ص12
[29] متي 2,3
[30] عبد الوهاب ، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، ص 10
[31] متي ،4 ، 12-23
[32] التبشير بين الماضي والحاضر ، ص 12
[33] لوقا ،4 ، 42-44
[34] لوقا ، 10 ، 10
[35] التبشير بين الماضي والحاضر ، ص 17
[36] صالح النصرانية والتنصير ام المسيحية والتبشير ، ص 47
[37] الطويل ، قصة الاضطهاد الديني ، ص 14-15
[38] سورة الغاشية \ الآية 21,22
[39] الطويل ، قصة الاضطهاد الديني ص20
[40] ينظر البلاذري ، فتوح البلدان ، ص 111
[41] الدعوة الى الاسلام ، ص 64
[42] قطب ، شبهات حول الاسلام ، ص 74
[43] ارنولد ، الدعوة الاسلامية ، ص65
[44] هاملتون ، دراسات في حضارة الاسلام ، ص50
[45] حسن ، تاريخ الاسلام السياسي ، ج 1 ، ص 214
[46] جودفروا و النظم الاسلامية ، ص 135

[47] ينظر ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج1 ، ص602
[48] عبد الهادي ، الجهاد بين عقيدة المسلمين وشبه المستشرقين ، ص 82
[49] سورة البقرة \الاية 217
[50] ابن هشام ، السيرة ، ج1 ، ص 604
[51] ماسيه ، الاسلام ، ص 61
[52] سورة التوبة \29
[53] ماسيه، الاسلام ،ص 46
[54] الاسلام ، ص 67
[55] الاسلام ، ص87
[56] المصدر نفسه ، ص85
[57] الاسلام ، ص86-93
[58] الماجد ، موقف المستشرقين من الصحابة ، ص30
[59] تاريخ الاسلام ، ص43-44
[60] صالح ، النصرانية والتنصير ، ص96
[61] فان فولتن ، السيطرة العربية ص25
[62] المصدر نفسه ، ص27
[63] المصدر السابق ، ص 21
[64] فولتن ، السيطرة العربية ، 25
[65] السيطرة العربية ، ص26
[66] الغزالي ، التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام ، ص 65-79
[67] ينظر الحاج ، نقد الظاهرة الاستشراقية ، ص37-48
[68] النملة ، الاستشراق في خدمة التنصير واليهودية ،ص 242
[69] المسيحية ، ص 16-17
[70] ينظر عبد الوهاب ، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ،ص101
[71] بروتولومي دي لاس ، ص 25
[72] المصدر نفسه ، ص 26
[73] المسيحية والسيف ، ص 29
[74]الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين، ج18 ،ص256
[75] انجيل لوقا ،6 ، 29
[76] حضارة العرب ، ص 143
[77] بباوي ، انتشار الاسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء ، ص 147
[78] شامة ، الاسلام في الفكر الاوربي ، ص77

قائمة المصادر

القران الكريم
الانجيل
1- ابن الاثير ، علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت630هـ) الكامل في التاريخ ،اعداد ابراهيم عز الدين ،دار الكتب العلمية ، مصر ، 1987
2- البلاذري ، احمد بن يحيى (ت279هـ) فتوح البلدان ، تحقيق عمر انيس الطباع ، مكتبة الهلال، بيروت ، 1988
3- الحاكم النيسابوري ،ابو عبدالله محمد بن عبد الله (ت405هـ) المستدرك على الصحيحين ،تحقيق محمد نجيب المصري ، 1985
4- ابن عبد الحكم، ابو القاسم بن عبد الرحمن (ت 257هـ) فتوح مصر والمغرب، تحقيق شارلز توري ، مؤسسة الذخائر ، القاهرة ، د.ت
5- ابن حجر ، احمد بن علي (ت852هـ) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، تحقيق شعيب الارناؤوط ، نشر دار المعرفة ، بيروت ،2013
6- الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير(ت310هـ) تاريخ الامم والملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1991

7- الفيروز ابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ) القاموس المحيط ، تحقيق انيس الشامي ، دار الحديث للنشر ، القاهرة ، 2008
8- ابن القيم محمد بن ابي بكر بن ايوب ابن الجوزية (ت 751هـ) زاد المعاد في هدي خير العباد ،تحقيق شعيب الارناؤوط ، مؤسسة المنار، الكويت ،1998
9- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت711هـ) لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، 2010نه
10- ابن هشام ،عبد الملك بن هشام بن ايوب (ت 213هـ) السيرة النبوية ،مطبعة مصطفى الحلبي ،مصر ، 1936
11- الهندي ، ابو الحسن علاء الدين المتقي (ت975هـ) كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ، اعتنى به اسحاق الطيبي ، طبع مؤسسة بيت الافكار الدولية ، الاردن ، 2005
12- الواقدي ، ابو عبدالله محمد بن عمر (ت207هـ) المغازي ، تحقيق مارسوف جونس ، نشر مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1948

المراجع

1- ارنولد ، توماس ، الدعوة الى الاسلام ، ترجمة حسن ابراهيم حسن ، دار العلم، القاهرة ، 1970
2- بباوي ، نبيل لوقا ، انتشار الاسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء ، نشر دار النهضة المصرية ، مصر و 1975
3- جودفروا ، النظم الاسلامية ،و ترجمة فيصل السامر ، طبع المركز الاسلامي للابحاث ، مصر ، 2016
4- جينيز ، شارل ، المسيحية نشأتها وتطورها ، نشر المكتبة العصرية ة بيروت ، د.ت
5- الحاج ، ساسي سالم ،، نقد الخطاب الاستشراقي والظاهرة الاستشراقية واثرها في الدراسات الاسلامية ، دار المدار الاسلامي ، بيروت و 1998
6- حسن ، ابراهيم حسن تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، نشر مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، 1978
7- الدميجي ، ابراهيم بن عبد الرحمن ، هل انتشر الاسلام بالسيف، طبع مؤسسة مكة المكرمة ،الرياض، د.ت
8- السرياني ، ماريو ثيسيوس يعقوب الصليبي، الدر الفريد في تفسير العهد الجديد ، ترجمة عبد المسيح الدولياني السرياني ، مطبعة القاهرة ،مصر ،1964
9- شامة ، محمد ، الاسلام في الفكر الاوربي ، مكتبة وهبة ، مصر ، 1980
10- الشامي ، رشاد عبد الله ، الشخصية اليهودية والروح العدوانية ، طبع مطبعة عالم المعرفة ، 1990
11- صالح ،محمد عثمان ، النصرانية والتنصير ام المسيحية والتبشير ، نشر مكتبة ابن القيم ، 1989
12- الطويل ، توفيق ، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والاسلام ، نشر مؤسسة الزهراء ، القاهرة ، 1988
13- عكاشة ، ابراهيم ، ملامح عن النشاط النصراني في الوطن العربي ، نشر مطبعة العلم ، الرياض ، 1987
14- علي ، سيد احمد ، الفتوحات الاسلامية بين الال والاصحاب حقائق وشبهات ، مكتبة الكويت الوطنية ، الكويت ، 2010
15- علي ، محمد كرد ، خطط الشام ، مكتبة النوري ، دمشق ، 1983
16- العمري ، عبد العزيز ، الفتوح الاسلامية عبر العصور ، ط2 ، دار اشبيليا للطبع ، الرياض ، 1998
17- الغزالي ، محمد ، فقه السيرة ، تحقيق ابو عبد الرحمن محمد الالباني ، نشر دار الكتب الحديثة ، بيروت ، 1965
_ التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام ، طبع مؤسسة النهضة ، مصر ، د. ت
18- فلوتن ، فان ، السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدية في ظل خلافة الامويين ، ترجمة ابراهيم بيضون ، دار النهضة العربية ، بيروت ، د.ت
19- قطب ، محمد ، شبهات حول الاسلام ،ط18 ، دار الشروق ، الكويت ، 1992
20- كازاس ، لاس ، برتولومي ، المسيحية والسيف وثائق ابادة هنود القارة الامريكية على ايدي المسيحين الاسبان ، ترجمة سميرة عزمي ، نشر المعهد الدولي للدراسات ، مصر ، د.ت
21- لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، نشر مؤسسة هنداوي للطباعة ، القاهرة ، 2012
22- الماجد ، سعد عبدالله ، موقف المستشرقين من الصحابة ، نشر دار الفضيلة ، الرياض ، 2010
23- ماسيه ، هنري ، الاسلام ، ترجمة بهيج شعبان ، منشورات عويدات ، بيروت ، 1988
24- النملة ، علي ابراهيم ، الاستشراق في خدمة التنصير واليهودية ، دار العلم ، الرياض ، 1987
25- عبد الهادي ، عوض ، الجهاد بين عقيدة المسلمين وشبه المستشرقين ، مؤسسة الجامعة الاسلامية ، المدينة المنورة ، د. ت
26- وجدي ، انور ، الاسلام وحركة التاريخ ، مطبعة الرسالة و القاهرة ، 1968
27- عبد الوهاب ، احمد ، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، مكتبة وهبة ،القاهرة ، 2001